בס"ד

في رِحاب التّوراة

دِراساتٌ وحِواراتٌ روحانيّة مُعمّقة في النّصوصِ التّوراتيّة الأسبوعيّة مع الحاخام جوناثان ساكس

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

نتقدّم إلى عائلة شِمل بجزيل الشُّكر والعِرفان على دَعمهم السخيّ لكتاب "في رِحاب التّوراة" (Covenant and Conversation),
ونُهدي هذا الكتاب لذِكرى الحاخام الراحِل هاري (حايم) شِمل طَيّبَ الله ذِكره.
"لقَد عَشِقتُ تعاليمَ التّوراة التي قدّمها الحاخام حايم شِمل منذُ اللحظة الأولى لاطّلاعي عليها، خاصة وأنه عَملَ جاهِداً على ألا تتطرّق تعاليمه للحقائق السطحية فقط، بل تعمّق في عَلاقتها بالحقائق الموجودة وراءها. وبرِفقة زوجته أنّا، تلك المرأة الاستثنائية ذات الستين ربيعاً، فقد أسّس الحاخام حايم حياةً مُكرّسة لحُبّ العائلةِ والمُجتمع والتّوراة، فكانا زَوجينِ مُميّزينِ ومثالاً يُعتدّ به بكلّ ما تحمِلهُ الكلمة من معنى، الأمر الذي كان له عميق الأثرِ عليّ. " - الحاخام جوناثان ساكس

---

with thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

"I have loved the Torah of R' Chaim Schimmel ever since I first encountered it. It strives to be not just about truth on the surface but also its connection to a deeper truth beneath. Together with Anna, his remarkable wife of 60 years, they built a life dedicated to love of family, community, and Torah. An extraordinary couple who have moved me beyond measure by the example of their lives." — Rabbi Sacks

---

"بشلاح" هو النصّ الأسبوعي الرابع من كتاب "شموت" (سِفر الخروج) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية السابعة عشرة من المقطع الثالث عشر وينتهي بالآية السادسة عشرة من المقطع السابع عشر.

طاقةٌ مُتَجَدِّدةٌ

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

تُرجِمَت التّوراةُ إلى لغةٍ أُخرى لأول مرة في التاريخ في القرن الثاني قبل الميلاد للّغة اليونانية في مصر خلال عهد الملك بطليموس الثاني، وأطلِق على تلك الترجمة حينها اسم "السَّبعينيّة" (باللغة العبرية تَرجوم **هاشيڤعيم**)، نظراً لاشتراك سبعين عالم دينٍ في عمليّة الترجمة. ويوضّح لنا التلمود* بأنّ كبار الحاخامات الذين ساهموا في الترجمة قد تعمّدوا عدم ترجمة بعض الأفكار بشكل صحيح، إيماناً منهُم بأن الترجمة الحرفيّة لهذه الأفكار لن تَنقُلَ المَعنى الدّقيق للقارئ باللغة اليونانية، وأحد أبرز تلك الأفكار كانَت هذه الآية التوراتية: **"وأكملَ اللهُ في اليوم السّابع خَلقهُ الذي صَنَع"**، وعِوضاً عن ترجمتها كما هي، قام المُترجمون بترجمتها كالآتي: "وأكملَ اللهُ في اليوم **السّادس** خَلقهُ الذي صَنَع".[1]

والسؤال الذي يطرحُ نفسه هنا: لماذا اعتقدَ الحاخامات بأنَّ الإغريقَ سيعجزون عن فهم فِكرة اليوم السابع؟ ولماذا سيتقبَّلون فكرة أن الله عز وجل قد خلقَ الكون في ستة أيام، في حين سيعجَزون عن تقبل فكرة خلقه للكونِ في سبعة أيام؟ في الحقيقة يبدو هذا الأمر محيّراً بعض الشيء، لكن الإجابة عن هذه التساؤلات بسيطة للغاية: إنها تكمنُ في عدم مقدرةِ الإغريقِ على استيعاب فكرةِ أن اليوم السابع (يوم السّبات باللّغة العبرية) هو جُزءٌ لا يتجّزأ من عمليّة الخَلقِ نفسها.

***مُلاحظة توضيحية من المُترجم:** التَّلْمُودُ (بالعبرية: תַּלְמוּד) هو النص المركزي لليهودية الحاخامية والمصدر الأوّل للشريعة الدينية اليهودية (الهلاخاه) واللاهوت اليهودي. يعود أصل كلمة تلمود إلى الجذر العبريّ (ل-م-د)، بمَعنى تعلم ودَرَس. يحتوي التلمود على التشريعات والروايات والحكايات الرمزية والأمثال والصلوات والقواعد الأخلاقية، إضافة إلى نقاشات فلسفية ودينية حول الكتاب اليهودي المقدس الذي يضم كلا من النصّ المكتوب وهو التناخ، والروايات الشفهية الموجودة في المِشناه والجُماراه (الجُماراه تضمّ النقاشات الحاخامية حول المِشناه). يتكون التلمود من سبعة وثلاثين كتاباً. وتتكوّن المِشناه من ثلاثة وستين كتاباً تنقسم بدورها إلى ستة أجزاء تسمّى "سْداريم" باللغة العبرية. هناك نُسختان من التلمود: البابلي واليروشلمي (أي تلمودَ أرض يسرائيل)، حيث يوثّقُ التلمود البابلي نقاشات الحاخامات الذين عاشوا في أرضِ بابل، واليروشلميّ يوثّقُ نقاشات الحاخامات الذين عاشوا في أرض يسرائيل، إلا أن التلمود البابليّ هو الأكثر شيوعاً واستخداماً.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هو الجُزءُ الخَلّاق والإبداعي في مبدأ الرّاحة؟ وما الذي نُحقّقهُ حينما **لا** نَصنعُ **ولا** نعملُ **ولا** نقومُ بأي عمل أياً كانت طبيعته؟ حقيقةً، يوجدُ بين أيدينا شهاداتٌ موثّقة لعددٍ من الكُتّاب الإغريقِ ممّن عاصروا تلك الحقبة الزمنية والذينَ وضّحوا في كتاباتهم بأن أحد الأمور التي تدعو للسخرية في الديانة اليهودية هي يوم السّبت (الشّبات)، ففي واحدٍ من الأيام السبعة يمتنعُ اليهود عن العمل لأنهم قومٌ "كُسالى" على حدّ تعبيرهم. بالتالي كان واضحاً بأن الإغريقَ قد عجِزوا تماماً عن فهمِ واستيعاب وجودِ قيمة خاصة بهذا اليوم على وجهِ التّحديد.

لكن ليس من قبيل الصدفة أن تسقط إمبراطورية الإسكندر الأكبر (الذي كان إغريقي الأصل) بعد فترة وجيزة من قيامها، مثلما سقطت قبلها أثينا، تلك الدولة-المدينة التي أنجبت بعضاً من أهم نوابغ المفكرين والأُدباء في التاريخ. إن الحضارات البشرية لا تختلفُ عن البشر، فكلاهما قد يصل لمرحلة معينة يكون فيها مُنهكاً تماماً وغير قادر على الاستمرار، وهذا ما يحدثُ حين لا يكون لأحدنا يوم راحة أو عُطلة في برنامجه الأسبوعي، وهذا ما أكّد عليه الأديب اليهودي أحاد هَعام حين قال: "لم يُحافِظ اليهود على يوم السبت (الشّبات) بقدر ما حافظَ يوم السّبتِ عليهم". والمعنى هُنا: امنَح نفسكَ قسطاً من الراحة ليومٍ واحدٍ من أيام الأسبوع ولن تصل إلى مرحلة تكون فيها مُنهكاً مُرهقاً غير قادر على الاستمرار.

في الواقع فإن فكرة يوم السبت اليهوديّ (الشّبات) والتي نتطرّق لها لأول مرة في هذا النصّ الأسبوعي، تُعدّ منظومة تعليمية عظيمة بحد ذاتها، بل ومن أعظم المنظومات التعليمية التي عرفها العالم، فقد غيّرَت المنظور الذي ينظرُ العالمُ من خلاله إلى الوَقت. وخلال الحقبة الزمنية التي سبقت ظهور الديانة اليهودية، كان العالمُ يقيسُ الوقتَ إما بالاستناد إلى الشمس، حيث كانَت السنة الشمسية تضم 365 يوماً تتوزّع خلالها الفصول الأربعة، أو من خلال الاستناد إلى القمر، بحيثُ يضم كل شهر حوالي ثلاثين يوماً (كلمة شهر"*month*" باللغة الإنجليزية جاءت من كلمة قمر "*moon*"). لكن فكرة اليوم السابع انثبقَت من رحم التّوراة ثم انتشرت إلى كافة بقاع العالم من خلال الديانتين المسيحية والإسلامية، حيث استعارت كلتا الديانتان فكرة اليوم المقدّس من كل أسبوع وصَبغته بصبغة مُختلفة ليُصبح يوم الأحد في المسيحية ويوم الجمعة في الإسلام. ولو فكّرنا في الأمر ملياً، لوجدنا أننا نستطيعُ حسابَ السنوات بفضل وجودِ الشّمس، ونستطيع حساب الشهور بِفضل وجود القَمَر، ونستطيعُ حسابَ الأسابيع بفضل وجودِ اليَهود.

إن الفرق الهائل الذي أحدثته فكرة وجود يوم السّبت (الشّبات) يتمثّلُ في خلقِ حيّزٍ للحرّية في حياتنا ومجتمعاتنا ككلّ، بحيث نرتاحُ في هذا اليوم لنتحرّر من ضغوط العمل وأعبائهِ، ومن أوامرِ مُدرائِنا المُرهقة، ومِن النّداءات المُغرية لمُجتمعنا المُستهلِكِ والتي تُشعرنا بأننا سنُصبحُ في قمّة السعادة حين نُنفق نقودنا بطريقة معيّنة، بالتالي فإننا نتمتّعُ في هذا اليومِ بكامل حُرّيتنا لنكونَ برفقةِ من نُحبّهم.

وعلى الرغم من التغيير الجذري في مناحي الحياة بين الماضي والحاضر خاصة في عالمي الاقتصاد والصناعة، إلا أن فكرة يوم السبت (الشّبات) قد جَدّدَت الغايةَ المُناطة منها جيلاً تِلو جيل. ففي عهدِ نبي الله ورسوله موشيه\موسى كانَت فكرةُ الشّبات تَعني الانعتاق من عبودية فرعون، أما خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين فقد أصبحت فكرة الشّبات تَعني الانعتاقَ من ظروف العمل الشاقّة والمُرهقة التي تمتدّ لساعاتٍ طويلة مُقابل أجورٍ زهيدة. وفي عصرنا الحاليّ، أصبحت فكرة الشّبات تَعني انعتاقَنا من الهواتف الذكية والبريد الإلكتروني ومتطلّبات الحياة العصريّة التي تفرِضُ علينا أن نكون في حالة انشغالٍ دائمٍ طوال اليوم.

وتُخبرَنا الآياتُ التوراتيّة في هذا النصّ الأسبوعي بأن الالتزام بتعاليم يوم السّبت (الشّبات) كان من أولى الوصايا التي تلقّاها اليهودُ على جبل سيناء، فبعد أن بدأ بنو يسرائيل يتذمّرون من شُحّ الطعام، أخبرهم اللهُ عزّ وجلّ بأنه سيُزوِّدهُم بالمَنّ من السّماء، لكن ينبغي عليهم أن يستريحوا وألا يقوموا بجَمعِ المَنّ في اليوم السّابع، لهذا كان يزوّدهُم اللهُ بضِعفِ الكميّة من المَنّ في اليوم السادس مِن كُلّ أسبوع. واستذكاراً لهذا الحدث تحديداً، فإن عَشاء ليلةِ دخولِ يوم السّبتِ المُقدّس (الشّبات) يتضمّنُ ترتيلَ أدعية وصلوات هذا اليوم أثناء تناول قطعتين من خُبز الحَلا (نوعٌ من أنواع الخُبز الذي يتناوله اليهود خصيصاً ليلة الشّبات).

كذلك فإن فكرة يوم السّبت (الشبات) لم تكُن بمثابة ثورة ثقافية فحسب، بل كانَت أيضاً ثورةً مفاهيمية بكل ما تحمله الكلمة من معنى. ولطالما حلُمَ البشرُ بتحقيق عالمٍ مثاليّ عبر التاريخ، ومثل هذه الرؤى والأحلام يُطلقُ عليها "يوتوبيا" (أو أدبُ المدينة الفاضلة)، حيث جاءَ هذا المُصطلحُ الإغريقي من الكلمتين اليونانيتين "أُو" والتي تَعني "لا"، وكلمة "توبوس" والتي تَعني "مَكان"، وتعني الكلمتان معاً أنه لا مَكان لمثل هذه الأحلام والطموحات والأفكار المثالية في العالم الواقعي، باستثناء فكرة واحدة هي فكرة يوم السبت.

ولو فكّرنا في الأمر ملياً لوجدنا أن يوم السبت اليهودي (الشّبات) هو بمثابة "يوتوبيا العصر" التي تحقّقت فِعلاً، فخِلال هذا اليومِ من كل أسبوع، ولمدة خمسة وعشرين ساعة متواصلة، فإننا نخلقُ لأنفسنا عالماً خاصاً بنا، عالماً يخلو من السلّم الوظيفي بِمُدرائِه وموظّفيه، يخلو من كل ما لهُ علاقة بالبيع والشراء والسلطة والثروة والفقر، فلا عملَ ولا إنتاجَ ولا أزماتَ سيرٍ ولا ضجيج ولا صخب للحياة. بصريحِ العبارة، إنّ يومَ السبت اليهوديّ هو "لحظة السكون في هذا العالم المُتقلّب"، إنه التنهيدة الفاصلة بين نغمتين من نغمات سمفونية موسيقيّة، إنه الاستراحة الفاصلةُ التي نحتاجها كلما طوينا فصلاً من فصول كتابِ حياتنا اليومية، إنّه كالمساحةِ الريفيّة الخضراءِ التي نراها بين مدينةٍ وأُخرى، تلك المساحة التي نتنفّسُ فيها نَفَحات الهواءِ العَليل ونُعطّر آذاننا فيها بزقزقة العصافير الشجيّة. إن الشّباتَ هوَ اليوتوبيا بالفعل، لكنها ليست بحاجة لأن تتحقّق في نهاية الزمان كونَها موجودة في كل أسبوع يمرّ من حياتنا في غمرة وقتنا الحالي.

وبمجرّد خروجِ بني يسرائيل من أرض مصر، فقد أرادَ اللهُ عزّ وجلّ لهُم أن يبدأوا فوراً بتعويد أنفسهم على الالتزام بتعاليمِ يوم السّبتِ (الشّبات) من كل أسبوع، باعتباره شكلاً من أشكال ممارسة الحريّة، لأنّ نيلَ الحُرّية الحقيقية في خضمّ أيام الأسبوع السبعة يتطلب وقتاً طويلاً قد يمتدّ لقرونٍ بل وربما لآلاف السنين. في المُقابل، فإن التوراة تنظرُ للعبوديّة على أنها أمرٌ غيرُ مقبول أبداً، لكنها لم تُحرّم العبودية حينها على الفور، لأن الناس لم يكونوا جاهزين فعلاً للانعتاق منها. والحال نفسه ينطبق على الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا، حيث لم يتم حظر العبودية فيهما حتى القرن التاسع عشر، مع العلم أن حظر العبودية فيهما لم يكن أمراً سهلاً على الإطلاق وتخلّلته العديدُ من الصراعات الداخلية. لكن جُهوزية الناس للعيش بِحرّية صارت أمراً حتمياً بمجرّد أن دخلَت فكرة يوم السبت (الشّبات) حَيّز التنفيذ وصارت جُزءاً أساسياً من حياتهم، فالعبيدُ القادرون على تحرير أنفسهم والعيش بحرّية ليومٍ واحدٍ من أيام الأسبوع، سيكونون جاهزين بنهاية المطافِ للوقوف على أقدامهم وتحطيمِ سلاسل العبودية.

إن النّفس البشرية بحاجة ماسّة لكي تَتَنفّسَ وترتاح وتتحسَّن، لهذا فإن أوّل قانون من قوانين الإدارة الناجحة للوقت هو ضرورة التفريق بين القضايا **الهامّة**، والقضايا **المُستعجَلة** بالِغة الأهمية. وأثناء ضُغوطات الحياة فإن القضايا الهامة تبدو وكأنها مُهمَلة لأننا نُعطي الأولوية للقيام بالأمور المُستعجلة، على الرغم من أن تلكَ القضايا المُهملة في أغلب الأحيان تكون أموراً فارقة بالنسبة لسعادتنا وإحساسنا بأننا نعيشُ الحياة كما يجبُ أن تُعاش، لهذا فإن يوم السبت (الشّبات) مُكرّسٌ للاهتمامِ بتلك القضايا الهامة وغير العاجلة في حياتنا، مثل العائلة والأصدقاء والمُحيط الاجتماعي وشعورنا بالطهارة والقداسة وابتهالَنا إلى الله عزّ وجلّ حامِدين شاكرين له على نعمِهِ الموجودة في حياتنا، بالإضافة إلى قراءة التوراة التي تروي لنا عبر صفحاتها حِكاية شعبنا اليهوديّ ورحلتِه الطويلة.

كما أن الإحساس بروحانيّة يوم السبت (الشّبات) يتجلّى فيما نُطلق عليه باللغة العبرية "شَلوم بايت"، أي السلام والطمأنينة التي تحلّ في كل بيتٍ مُفعمٍ بالمحبة والحياة وبركةِ السكّينة والحضور الإلهي (الشخيناه بالعبرية) الذي نستشعِرهُ في نور الشموعِ والنبيذ وخُبز الشّبات المُميّز. إنّ الشَّبات هو بمثابة لوحةٍ فنّية مُتناهية الجمال، لوحةٌ لم يرسُمها فنانٌ مُبدعٌ مثل مايكل أنجلو أو ليوناردو دافنشي، بل لوحة بإمكان كل شخصٍ منّا أن يرسمها لوحده: لوحة لجزيرةٍ هادئة في وقتٍ تتلاطمُ فيه أمواجُ البحار في خضمّ هذا العالم المُضطرب.

وفي سياق الحديث عن الشّبات، أتذكّرُ في أحد الأيام ندوةً نظّمها معهَد إيليا للحوار بين الأديان، وشاركتُ بها بصُحبة الدالاي لاما، حيث عُقِدَت في منطقة أمريتسار شمالي الهند التي تعتبرُ أحد المدن المقدّسة للديانةِ السيخية، فيما كان عدد الحاضرين حوالي ألفي طالبٍ من الطّلاب السيخ. ومن ضمن الكلمات التي ألقاها المُتحدّثون في الندوة، كانت هناك كلمة لأحد الشخصيات الدينية السيخية البارزة، والذي وجّه كلامه للحضور قائلاً: "إن ما نحتاجُهُ بالفعل هو ما يمتلكُهُ اليهود، يوم السبت من كل أسبوع (الشّبات)! تخيّلوا أنّكُم تُخصّصونَ يوماً من أيام الأسبوع ليكون مُكرّساً للعائلة والبيت والعلاقات الاجتماعية فقط". لقد استشعرَ هذا الرجلُ مدى روعةِ وجمال الشّبات، في حين أننا نعيشُ هذه الروعة في حياتنا بالفعل.

لقد عجزَ الإغريقُ عن فهم مبدأ ينصّ على أن يوم الراحة هو جُزء من عمليّة الخلق نفسها، وهذه حقيقةٌ بالفعل، لأن الكون لن يكون بهذا الإبداع الخَلّاق وسيكون ذابِلاً مُترهّلاً فيما لو خلا من يوم راحةٍ يستريح فيه الجسد، ويطمئنّ به العقل، وتسكنُ به الروح، وتتجدّدُ فيه أواصِرُ المحبّة والارتباط بالهويّة. كما أن القُصورَ هو سِمة لكل ما هو موجودٌ في هذا الكون، فبنهايةِ المطاف سوف تفقِدُ الأفكار والمبادئ والأنظمة طاقتها مع مرور الزمن، لكن الشعب اليهوديّ لم يفقِد طاقته أبداً، بل ظلّ مُستمراً بنفس الحيوية والإبداع من الأزل وحتى يومنا هذا، والفضلُ في كل هذا يعودُ ليوم السبت المقدّس (الشّبات)، فهو أعظم مصدر عرفته الإنسانيّة لتجديد الطاقة والحيوية في حياتنا، وهو اليومُ الذي يمنحنا القوّة من أجل المضيّ قُدُماً في مسيرة الخلقِ والإبداع.

---

1. مجلّا ، الباب التاسع - أ Megillah 9a.
2. يرتبطُ هذا المصطلح بالكاتبِ والفيلسوفِ الإنجليزي السّير توماس مور، والذي استخدمه عنواناً لكتابه سنة 1516م.
3. لقراءة المزيد حول عدم قبول التوراة للعبودية، بإمكان القراء الاطلاع على تحليل الحاخام ناحوم ل. رابينوفيتش لهذه المسألة في كتابه "سِكّ حديديّة جاثمة على قلوبهم" ("מַסְלוּת בַּלְפָאם" باللغة العبرية) (معاليه أدوميم: معاليوت, 2015) في الصفحات 38-45. ويستند في تحليله لعدم قبول التوراة لمفهوم العبودية إلى الفكرة المركزية المتأصلة في كُلّ من التوراة المكتوبة والشفهية (المشناه)، والتي تقوم على أن الكرامة الوجودية للإنسان هي أمر مشترك بين جميع البشر، كون الله عزّ وجل قد خلق البشر بصورته، وهذه النظرة تتناقض بشكل واضح مع أفكار أفلاطون وسقراط. كما وقام الحاخام نحمان بتحليل آراء ووجهات نظر كبار حاخامات اليهود مثل الحاخام موشيه بن ميمون ومُئيري حول الآية "ليكونوا لكَ عبيداً للأبَد" (سفر اللاويين، المقطع الخامس والعشرين الآية السادسة والأربعون). لاحظ الاقتباس الذي يقتبسه من سِفر أيوب: "إِنْ كُنْتُ رَفَضْتُ حَقَّ عَبْدِي وَأَمَتِي فِي دَعْوَاهُمَا عَلَيَّ. فَمَاذَا كُنْتُ أَصْنَعُ حِينَ يَقُومُ اللهُ؟ وَإِذَا افْتَقَدَ، فَبِمَاذَا أُجِيبُهُ؟ أَوَلَيْسَ صَانِعِي فِي الْبَطْنِ صَانِعَهُ، وَقَدْ صَوَّرَنَا وَاحِدٌ فِي الرَّحِمِ؟".

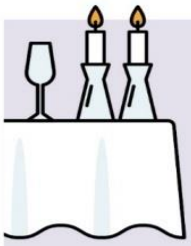

حَولَ مائِدةِ يومِ السّبتِ المُقَدَّسِ: أَسئِلةٌ لِلتَّأمُلِ

1- ما هو الجُزء المفضل لديك من يوم السبت اليهودي المقدس (الشبات)؟
2- باعتقادك كيف ساهمت فِكرة يوم الشّبات اليهودي في تغيير العالم نحو الأفضل؟
3- هل من الصعب الفصل بين الأمور الهامة والأمور الضرورية في الحياة؟ ما هي الأمور الهامة في حياتك والتي تفوق في أهميتها الأمور الضرورية لدرجة أنها تشغل بالك في أغلب الأحيان؟

● These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at **https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/beshallach/renewable-energy/**

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism*, *Bar Ilan University*